اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وقالوا اولئك النفر من الجن
رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد وانه قال الرسل من الانس والنذر
من الجن ونحوه الكلبي قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولا يحسن
بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** يعني
يخبرونكم بما اوحي اليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء**
يومكم هذا يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة
وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التوبيخ والتقريع ما اخبر في
كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الآية فيجيبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا** يعني
كفار الجن والانس **شهدنا على انفسنا** اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم
وانذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم
جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **وغرتهم الحياة الدنيا** يعني انما كان ذلك بسبب انهم
غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** يعني في الدنيا
فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله
ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمؤمنين
من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم الاولى اعتراف
منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على انفسهم
ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا
ولذاتها فكان عاقبة امرهم انهم اضطروا الى الشهادة على انفسهم والمقصود من شرح حالهم
تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة
الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل
وامر عذاب من كذبهم **ان لم يكن ربك** يعني لانه لم يكن ربك **مهلك القرى بظلم واهلها**
غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا
اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم
منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول
اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في افعاله غير انه اخبر لا يعذب قبل
بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى **ولكل درجات مما عملوا** يعني ولكل
عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر
وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب
والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهذا قول
جمهور المفسرين وقال ابن زيد ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق
الا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد
لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والفاجر
وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب وعقاب قوله
عز وجل **وربك الغني** يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على

قدر عمله

٣٢٦

قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لكونه محتاجا الى طاعة المطيع
او منتفعا بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه **ذو الرحمة** قال ابن
عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين
لعلهم يتوبون ومن جعلوا **ان يشأ يذهبكم** يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم
ويستخلف يعني وينشئ ويخلق **من بعدكم** يعني من بعد اهلاككم **ما يشاء** يعني خلقا غيركم امثل واطوع
منكم **كما انشأكم من ذرية قوم آخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي
يعني آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدي وصاحب الكشاف يعني من اولاد قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله
تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت
واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقا آخر من امثال الجن والانس
قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى
حمل على خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون
جنس من الخلق الذين يجوز لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لولا رحمته لهؤلاء الاقوام
الحاضرين ابقاهم وامهلهم ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوله قدرته
على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم آخرين كان المراد انه تعالى خلق الانسان من نطفة
ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فلا قدر
على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهذا آخر كلامه
وقال الطبري في قوله كما انشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين
كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع للتعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان
الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم هذا
الخبر انهم انشئوا من اصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشئوا مكان خلق آخرين قد
هلكوا قبلهم قوله تعالى **ان ما توعدون لآت** يعني ما توعدون به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت
والحشر والحساب يوم القيامة لآت يعني انه كائن قريب **وما انتم بمعجزين** يعني بفائتين حيث ما كنتم
يدرككم الموت قوله عز وجل **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد **يا قوم** اي قل لقومك
من كفار قريش **اعملوا على مكانتكم** وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم
يحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانك
يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم **اني عامل** يعني
اني عامل على مكانتي التي انا عليها وما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة
فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم
عليه من الكفر وكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم العذاب الدائم فهو كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم وفيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه الحث لهم على ما اراده
من الكفر والمعاصي وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه
فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم ايما كان على الحق في عمله انا ام انتم **من تكون له عاقبة**
الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهي الجنة **انه لا يفلح الظالمون**
قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك ثم في الآية قولان احدهما انها محكمة وهو
على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة

وذا اذا لا الجن قلت يعني [illegible]
الاي ابو عبيد [illegible]
[illegible]
عليه [illegible]

انه